

كتاب الكليات

لأبي الوليد محمد بن رشد

لداين السبعالي

هو باكورة منشورات معهد الجغرافيا فرنكو بطبعة بالمغرب الاصحى. وهو الخفة الاولى في سلسلة المخطوطات العربية التي تصني بشرها لجنة المهتم للابحاث العربية الاسبانية. طبع في مطبعة انثون المصورة بالبرائش. وبالاصح ان المقدمة والنهرس والمجمع العلمي الطلي وترجمتها الى اللغة الاسبانية مطبوعة كلها ظمماً، والباقي أي كتاب الكليات، في مائتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير، مصور بالتصور الفوتوغرافي عن النسخة الخطية.

وقد كتب للمقدمة واستوفى البحث في حياة ابن رشد وتأليفه وفلسفته لأديب البستاني الفريد البستاني أستاذ الآداب العربية في معهد اللغوس المغربية بباريس، وترجمها الى الاسبانية سون كريستوبال بيريس بيرا (Christobal Perez Vera) مراتب أسلاك الدولة في اتاجية الثرية في منطقة الحماية الاسبانية في المغرب.

ان كتاب الكليات هذا لا يدر تأليف ابن رشد فلا يوجد منه غير نسختين خطيتين النسخة التي بين يدينا مسوورة صفحاتها كانت محفوظة في مكتبة دير الحليل البندري بأطالي غراطة، وهي أقدمهما. أما النسخة الثانية وهي التي كانت في مكتبة سان بطرسبرج قبل الثورة الروسية وقد نقلت عنها النسخة غير الكاملة المحفوظة اليوم في مكتبة مدريد الاصلية. أما تاريخ النسخة المنشورة في هذا الكتاب فاقامة تلي به وهي كما يلي:

« كتاب الكليات والحمد لله على اسمه التي لا تحصى، صلى الله على محمد وسوله النبي، على آله وسلم تسليماً وكشف لغتاً مرعبة غلاماً لله عيسى بن أحمد بن محمد بن قودر الاموي القروصي وكان فرغه منه يوم الجمعة في شهر ربيع من سنة ١١٤٠ هـ ونزلت به وخبرناه » (أي قبل وفاة ابن رشد بوقت قريب سنة ١١٤٠ م) يقول: « كتبت هذه الكتاب بطلب الشيخ الفقيه القاضي الأديب... الأديب أبو الوليد محمد بن رشد ابن رشد وذلك في قرنته حرمها الله »

هذه النسخة هي إذن الوحيدة الكاملة سليمة، المتدقق في نسخها وتحقيقها وهي تنقسم الى سبعة أجزاء أو كتب، وأولها نثر في الاعضاء ثم (٢) الصحة (٣) المرض (٤) الامانات (٥) الادوية والاشغذية (٦) حفظ الصحة (٧) شفاء الامراض

تلوها فهرسان فهرس الموضوعات وفهرس علمي بأسماء النبات والاشجار والحشائش والحيوانات

والمعادن النبية. وقد أثبتت أسماءها كما في كتاب الدكتور جورج بوست الأميركي « زهور وطيور سورية » The Flora and Fauna of Syria باللغتين العربية واللاتينية ثم بالاسبانية في هذا الكتاب، بدل الانكليزية في كتاب الدكتور بوست. وان اقتطف العربي فوق ذلك، مطبوع الى جنب الاسم بالاحرف اللغوية، فيستطيع تعلمه ولفظه من شاء من الاسبانيين او غيرهم من الاوربيين وقد اخذت النجدة هذه الاسماء المذكورة في الكليات اعتناءً علمياً، فأضافت الى التعريف والتشرح المزيد الطيبة لكل نبتة او معدن، ثم قائمة كل رمتها في معالجة الامراض، مستبينة على ذلك بكتاب القاوون لابن سينا، فجاء في صفحاته الستين فهرساً طريفاً ذا قيمة علمية تؤهله لدرس الاختصاصيين، وعلاء النبات والحيوان، فمحصون حقائقه، ويصلحون ما قد يكون من خطأ فيه ليس هذا الكتاب من اولئك الاختصاصيين. ولكنه من المزايا عجي الاشجار والازهار وقد وقف، على قصر بانه - او لقصر بانه - في الموضوع، موقفة الحائر البائل عند بعض التعريفات، كالرمحار^(١) مثلاً، وهو في الفهرس « برّي السرو »

وكانت تدورات في مقتطف دكتوران الشريرين في الشام هو السرو في مصر، بلاد الجزائر، والعرعر في الشام هو الشريرين في الجزائر. اما الرمحار فالتابع من العلم به انه الـ «جونير» بالانكليزية (Juniper Salina) واليه وهو الـ «سير» بالفرنسية واليه «ستيروس» بالانكليزية (Cupressus Sempervivens) اذن الرمحار هو غير السرو البري اذ البستاني. وانه السرو والعرعر وشريرين والارز هي كلها في رأي ثقة الامير معصطفي الشهابي، من جنس الصنوبر. وقد جاء في الفهرس ان عصا الراعي ذات شائك. فاسأنا الناح البستاني بفلان ان عصا الراعي من اجل النباتات العربية ترشرة، ولا شوك فيه. الا انه ثبت في الحبل بل الصنوبر الاشواك حديد وفي الجنين يسلطهم انهم يصيرون فوق اللحم والبقول للعديد، مما فئات الخبز هو ملوخية اهل الجنين دلب، «لا يقد له داء». اما الدلم في اسبانية والغرير فهو شجيرة اقل وهو شبيه بالسنديان. والرمحار ذاته في قشره الضارب الى البياض اقرب الى الجوز، وورقه شبيه بورق العنب. وهو كذا من الصفات على ضفاف الانهر بلبان

اما ما وقع كتب الكليات فانظر فيه من اختصاص الاطباء العلماء ولا اظن ان هذه القطعة لغوية جغرافية ممكن من ذلك. فقد جاءت الصفحات غير متساوية في الطبع الواضح الحلي، فيها الكسوف الرقيب، غامض بالجر والظلمانية اليه - لندوس والحقيقي. وهي فوق ذلك مكتوبة الخط المغرب الذي لا تسام قراءته على عرب المشرق

لذلك اقترح على معهد الجزائر فرمكو ان ينشر في المستقبل الى جنب الخط طبعها لطبوع لثم البائدة. اما في شكل الحاضر فاقفائدة تنحصر في بعض المعاهد الشرقية والغربية وفريق

(١) اقتطف: ليس في الشام الا السرو ينتج اللبن ويكون الراب (مادة عرو)

قبل من الناس هم المستشرقون والمترجمون بابتداء مثل هذه الأبحاث الادبية والفلسفية . لست اشك في ان المهد الخليلي يقبل الاقتراح ، وقد صدر هذا الكتاب بتقدمة جيدة انقلها بالحرف الواحد « هنا كتب كليات ابن رشد بقدمه معهد الجزائر ارتكوا الى نفس أسلاف العرب والى كافة المعجيين بقربة تيلسوف الاسس ومبداها المشهور عربون المودة الصادقة ابن الامين بررها ثم تجديد الصفة الثقافية بين المسلمين » اذن سنبثو هذا الكتاب غيره من كنوز المخطوطات العربية التي في اسبانية . وقد قال لي الجزائر فرنكو ، يوم نشرتمت زيارته ببورخوس في اربع الماضي ، وهو يذكر تلك المخطوطات بمهجة الفخر والحسنة انه موزم نذرا اكثر ما لكون اساس النهضة الثقافية الجديدة العربية الاسبانية . فسي ألا يفوت لجنة المهد الجديد طبع نص المخطوطة الى جانب الاصل او معها في الكتاب الواحد فهما يكي خطها راسحا وجيلا في في الطبع بعد التصور لا تخلص من الشوائب الميكانيكية .

بقي ان اندم لتأري ، عودجا من باحث ابن رشد في الكليات . واني اختار ما لا يتجاوز اتق علمي ، فهمي ، فاقبل من كتاب « حفظ الصحة » مثالا من بحث العلي . فهو يتناول في الرياضة : « بالجملة حركة الاعضاء وزيادتها . وذلك أولا للاحتواء التي شأنها ان تحرك جسم الحركة ، وهي جميع الاعضاء التي لها حركة اولوية ، وثانيا للاعضاء التي تجاور هذه واللات انده . ولما كانت الرياضة هي حركة الاعضاء كالمنها جزئيا وكليا . وذلك ان منها ما هي رياضة جميع اجزاء ، وهي الحركة الكلية الكلية لجميع اجزائها ، ومنها ما هو رياضة مخصوصة بعض ما مثل ان الصوت وياضه البرقة ونظام وانفود رياضة لبعض . والرياضة منها ثورية ومنها حثيئة . . . ومنها السريعة والنشطة . . . وربما اجتمعت في الرياضة اسرعة مع القوة كشيء يطرفون بخر ب . والرياضة المتدلة تنها بالجملة تنسبة لروح انفرزي . وودع الفضول عن آلات انده . وحذفت ، وتطبت الاعضاء نفسها . وهي في هذا للمنى افضل شيء . فبني به الحرارة . . . » ثم يحذر من ابناء العبيد الرياضة فيقول : « اما الرياضة القوية فانهما تستفرغ من البدن اكثر مما يحتاج اليه » فكان ابن رشد رأى في زمانه ما أدركه العلم في زماننا ، وهو ان الفضول في البدن ، أي السوم ، إما ان تزيد وإما ان تقص . وفي كلا الحالين تمدد عوامل الصحة ان كانت غددية او غذائية او عصبية . ثم ينصح بالاعتدال ويقول :

« وأما ان الرياضة بالجملة تمد عظيمة ، وانها أكثر من عدد الرياضة . فذلك بين من حال المتصورين في السون . فانهما عنف وجرحهم . وتفسد صحتهم . وتختل أفعالهم الطبيعية كاهاء . وليس يظهر هذا في الاسان فقط بل في جميع الحيوانات المتصورة كالطيور في الانقاص وغير ذلك »

وله في التذليل بحث لا يقل فائدة عن بحثه في الرياضة . فيبدو فيها مصريا كأحد علماء العصر غير المتطرفين في نظرياتهم . فهو عصري ، ليس في تفضيل الرياضة على المتأقير في معالجة الامراض . ليس في الدعوة لتذليل المتأقير في الاستشفاء ، بل في رفع الرياضة والتذليل والتدواء الى مستوى الادوية في مفعولها ، ان لم يكن الى مستوى اعلى من مستواها

فواز هو عصري كذلك ، او قريب من علومنا المصرية في اجناته العلمية ؟ هل لكتاب الكليات قيمة علمية دائمة تضاف الى علوم زماننا ؟ أم هل هو حلقة في سلسلة تاريخ الطب

الجواب عن هذه الاسئلة هو عند الاطباء العلماء الذين يطالعون كتاب الكليات مدققين النظر فيه ، تصرف بمدفك قيمة الحقيقية ، ولا تضع فوائده